

— ١١٣ —

ثم لما عدت إلى الفندق ، ورأيت الناس يميثون ويذهبون فيه ، وشاهدت الأدوات الحديثة الحقيمة التي تناثرت في بهوه ، وسمعت الزملاء يصيحون ويتكلمون على الأطلال ، ويدون إعجابهم بها في عبارات ضخمة ، لا تنبيء عن شيء حقيقي عميق ، عندها ثبت إلى نفسي ، وأققت من ذهولي ، وعلمت أنني ما زلت في دنياي الحاضرة ، وأنتي كنت في استغراق يقرب من الحلم . وقد زاد إحسامي بالأمرى والاكتئاب عندما اكتشفت أنني كنت ذاهلاً . ثم قضيت بقية ساعات النهار صامتاً هادئاً ، قليل الحركة ، قليل الكلام ، مشرد الفكر والخيال .

وقد مضت سنون طويلة على ذلك اليوم . وما زلت إلى الآن بتولاني شيء من الهدوء والتأمل كلما ذكرت ذلك اليوم ، ومررت في خاطري صورة الأعمدة الضخمة ، وقد ذهبت في الجوّ الفسيح ، وأخذت تلتمع تحت نور الشمس اللامعة في صمت وخشوع ، وكأنها تردد صلاة الأجيال وتراتيل الخلود .

والآن حين أقرأ شعر الوقوف على الأطلال ، وأمضي فيه ، أحس هذا الشعور ذاته ينبعث في نفسي شيئاً فشيئاً ، وأحس أن هذا الشعور يزداد قوة وتأثيراً عندما أمرّ على صور الخراب والدمار في هذا الشعر ، وأصني إلى هزيم الريح تسقي بالرمال ، وأنظر إلى السحاب يزحف بالطر على هذه البقايا الضئيلة من آثار الديار .

وفي شعر الوقوف على الأطلال صور كثيرة للديار الخربة ، وبقاياها المافية ، رسمها الشعراء بألوان حزينة كثيفة ، فيها ظلام وبؤس ، وذهاب إلى الفناء شيئاً فشيئاً . وقد أضافوا إلى هذه الصور ألواناً أخرى خارجة عن الألوان الأصلية ، تزيد في الحزن حزناً ، وتلائم الاكتئاب ، مثل هزيم الريح